## قراءة سياسية واقتصادية لزيارة بلير للمملكة

# وزن المملكة الاستراتيجي والسياسي والدولي أكد أهمية زيارة بلير للسعودية

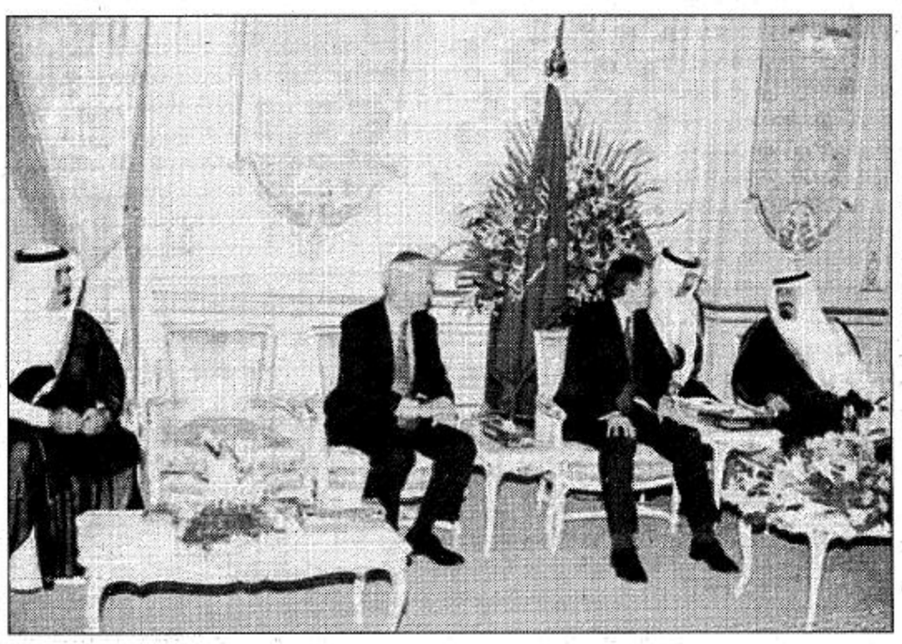

**الجزيرة-الرياض-القاهرة:**

بقدر الوزن الاستراتيجي والسياسي والدبلوماسي العربي والدولي للمملكة العربية السعودية تأتي اهمية الزيارة التي قام بها رئيس الوزراء البريطاني توني بلير للمملكة والمباحثات التي اجراها مع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وصاحب السمو الملكي الامير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني.

وطبقا للتصريحات والبيانات التي قالها رئيس الوزراء البريطاني والتي عكست الاعتزاز والتقدير الكبير للسياسة الحكيمة للمملكة تحت قيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز جاءت الزيارة (الاولى لبلير منذ وصوله للحكم) لتمثل خطوة متقدمة جديدة في الرصيد المتميز والتاريخي للعلاقات الوثيقة بين المملكة العربية السعودية وبريطانيا.

ومن هنا يمكن القول ان زيارة بلير إلى المملكة كانت لها العديد من الاسباب والدلالات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية وحققت بالفعل مكاسب ينتظر ان تتجسد عمليا في المرحلة المقبلة للتكامل مع جذور علاقات التعاون الثنائية التي تمتد الى سنوات طويلة.

**لماذا المملكة؟**

يركز المراقبون المتابعون لجولة رئيس الوزراء البريطاني توني بلير في المنطقة على ان اختيار المملكة العربية السعودية في المحطة الثانية لجولته تأتي لعدة اسباب ومقدمات ومعطيات تتعلق بخصوصية العلاقات السعودية البريطانية من ناحية وبالدور الذي تضطلع به المملكة تحت قيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز على الساحتين العربية والدولية، ومن هنا تأتي زيارة بلير للرياض لتعيد التأكيد على عدة حقائق:

○ اولها: ان بريطانيا تنظر الى المملكة باعتبارها دولة اقليمية كبرى لها وزنها وثقلها الاقليمي والعربي والدولي كما ان المملكة في ذات الوقت وحسبما قال مسئول بالخارجية البريطانية عشية زيارة بلير.«المملكة شريك كامل لبريطانيا في الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية»

○ ثانيهما: تنطلق الرؤية البريطانية لخصوصية العلاقات الثنائية بين الرياض ولندن من ان المملكة العربية السعودية تمثل قاعدة لتحقيق الامن والاستقرار الكاملين في منطقة الخليج العربي، والشرق الاوسط وذلك لما للمملكة من توجهات في سياساتها الخارجية تقوم على ضرورة احترام القرارات الصادرة من الشرعية الدولية وعدم التدخل في الشئون الداخلية للدول الاخرى مهما كانت المبررات والدوافع، واحترام سيادة كل دولة على اراضيها ومن ثم فإن هذه المرتكزات والثوابت تصب في اطار تحقيق الامن لجميع شعوب المنطقة، وتنسجم في ذات الوقت مع السياسة السعودية الثابتة والداعية الى حل الخلافات بين جميع الدول بالطرق السياسية او السلمية وعدم اللجوء الى استخدام القوة او العنف او حتى التهديد بهما.

○ ثالثها: لايمكن الفصل بين اختيار بلير المملكة لتكون احدى اهم المحطات في جولته بعد القاهرة، وبين الاهمية الكبيرة التي تحتلها علاقات التعاون الاقتصادي والتجاري او الاستثماري السعودي البريطاني منذ سنوات طويلة ولعل رئيس الوزراء البريطاني توني بلير قد شدد على هذه الاولوية حينما تحدث قبل الزيارة مباشرة عن اهدافها قائلا: سأبحث مع الملك فهد بن عبدالعزيز والمسئولين السعوديين امرين اولهما ما يتعلق بعملية السلام في الشرق الاوسط، وثانيهما توثيق العلاقات السعودية البريطانية

○ رابعها: الدور الريادي البارز الذي تلعبه المملكة العربية السعودية في العالم الاسلامي وما يتمتع به خادم الحرمين الشريفين من تقدير لمواقفه ومبادراته عند كل قادة الامة الاسلامية ولان بريطانيا اخذت بعين الاعتبار هذه الخصوصية التي تربط السعودية بالعالم الاسلامي فهي حريصة على تأكيد احترامها للدين الاسلامي ورفضها لجميع اشكال العنف والارهاب فضلا عن مساندة بريطانيا لافكار الحوار الحضاري الهادف والبناء بين الحضارتين الاسلامية والغربية.

واخيرا فإن بريطانيا تريد ان تنفي عن نفسها اي اتهامات بإيواء الارهابيين على اراضيها.

**توقيت الزيارة**

ويرى المراقبون ان زيارة رئيس الوزراء البريطاني توني بلير للمملكة وعدد من بلدان المنطقة تحمل اهمية خاصة من حيث التوقيت حيث تأتي بعد فترة وجيزة من ترؤس بريطانيا للاتحاد الاوروبي وما يحمله ذلك من مراهنة لتفعيل الدور الاوربي وتنشيطه للمساهمة في انقاذ عملية السلام والتعاون بجدية مع الجهود الامريكية المبذولة في هذا الشأن وفي نفس الوقت فإن ثقل بريطانيا واوربا يمكن ان يساهم في الدعم الاقتصادي والتعاون الثنائي مع دول المنطقة لخدمة السلام والتنمية والاستقرار.

من جانب آخر تتزامن الزيارة مع الازمة الراهنة في عملية التسوية السلمية واستمرار التعنت الاسرائيلي ورفضه تطبيق القرارات الدولية الملزمة بالانسحاب من الارضي العربية المحتلة، وهو مايستدعي تكاتف المجهودات الدولية ولاسيما من الدول دائمة العضوية في مجلس الامن ومنها بريطانيا، للضغط على اسرائيل لاحترام هذه القرارات وتنفيذ الاتفاقيات الموقعة.

ايضا تأتي الزيارة وسط انتقادات من بعض الدول العربية لبريطانيا التي تعطي حق اللجوء السياسي لعدد من الارهابيين المتورطين في جرائم عنف بهذه الدول وهو مادفع بلير الى تأكيد وقوف بلاده ضد الارهاب والاعداد لقانون يحول دون استضافة من يثبت ممارسته للارهاب.

**شهادة بلير**

وحينما نتأمل شهادة توني بلير نفسه عن العلاقات بين البلدين نلاحظ مسألتين عكستهما تصريحاته في المملكة.

○ شعور رئيس الوزراء البريطاني بالرضا التام عن مجرى ومسار تطورات العلاقات التاريخية والوثيقة بين المملكة وبلاده حيث قال بلير« ان العلاقات بين البلدين ممتازة لكن بريطانيا تبحث عن مزيدمن الخطوات لتطويرها»

○ ثقة بريطانيا تحت زعامة بلير بالدور القيادي والرئيسي الذي تلعبه المملكة العربية السعودية لصالح تحقيق السلام العادل والشامل في المنطقة وذلك انسجاما مع مساعي المملكة لتطبيق قرارات الشرعية الدولية واحترامها وقد كان بلير واضحا في تأكيده على هذا الدور حينما قال بالحرف الواحد:« ان للسعودية دورا مهما في حفظ الاستقرار في المنطقة والعالم» ثم اضاف:« وانا شخصيا متأكد انه سيكون للمملكة دور كبير في دفع عملية السلام».

وتقودنا هذه الشهادة على لسان رئيس الوزراء البريطاني بشان زيارته للمملكة ولقائه مع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وصاحب السمو الملكي الامير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء الى عدد من الايجابيات التي تحققت بالفعل بعد هذه الزيارة وهي الاولى التي يقوم بها بلير للسعودية.اسهمت اللقاءات التي عقدها بلير في تعرف بريطانيا على وجهة النظر السعودية حيال القضايا والتطورات المطروحة على الساحتين العربية والدولية واظهرت المباحثات بين الجانبين قدرا كبيرا من التطابق والاتفاق في وجهات النظر ولعل رئيس الوزراء البريطاني عبر عن هذا الاتفاق من خلال تأكيده ان المباحثات كانت ايجابية وبناءة في نفس الوقت عكست الزيارة رغبة البلدين في تحقيق طفرة نوعية جديدة في العلاقات الثنائية على مختلف الاصعدة، ورغم مابدا من رضا القيادتين السياسيتين عن واقع هذه العلاقات الا ان الجميع شدد خلال المباحثات على اهمية تطويرها بما يحقق مصلحة البلدين ويخدم الامن والاستقرار في منطقة الخليج العربية والشرق الاوسط في آن واحد.

**مشاركة شاملة**

هذا التطور الذي تشهده العلاقات السعودية البريطانية لم يكن وليد الصدفة وانما يرجع الى عدة مقدمات وثوابت تحكم العلاقات الثنائية منذ زمن طويل، حققت خلاله الكثير من الانجازات والمشروعات المشتركة على الصعيد الاقتصادي واظهرت قدرا متزايدا من التنسيق السياسي والدبلوماسي ايضا.

وبمزيد من التفاصيل – وحسب احدث الارقام والاحصاءات المتاحة – فإن زيارة بلير تأتي انسجاما مع قفزة حقيقية في التعاون الاقتصادي بين المملكة العربية السعودية وبريطانيا ويدلل على ذلك ان بريطانيا اصبحت في السنوات الاخيرة الشريك التجاري والاقتصادي الثالث مع المملكة العربية السعودية كما ان بريطانيا تحتل المركز الثاني في الاستثمارات العالمية والاجنبية بالمملكة، ويصل عدد الشركات البريطانية العاملة في السعودية الى 108 شركات متنوعة بين المجالات الصناعية والزراعية والتجارية والبيئية وغيرها.

في هذا السياق تشهد مجالات التعاون الاقتصادي طفرة تتمثل في زيادة الصادرات البينية الى افضل معدلات لها عام 1997 وعلى سبيل المثال فقد وصلت الصادرات البريطانية الى السعودية الى 6,7 مليار دولار العام الماضي بينما تجاوزت الصادرات السعودية لبريطانيا 1,68 مليار دولار في العام نفسه، ويتطلع البلدان الى المزيد من التعاون الاقتصادي الذي يرفع معدلات التبادل التجاري الى افضل من ذلك ولاسيما بعد زيارة توني بلير للمملكة والتي جعلت في سلم اولوياتها الاتفاق على زيادة الاستثمارات المشتركة واقامة مشاريع تعاون اقتصادية جديدة.

وكانت المملكة العربية السعودية وبريطانيا قد وقعتا من خلال التعاون الايجابي بين البنوك والمصارف المشتركة اتفاقية تسهيلات ائتمانية تصل قيمتها الى 400 مليون دولار وذلك بمشاركة البنك السعودي البريطاني والبنك العربي المحدود والبنك السعودي الفرنسي، وتزامن مع هذا التطور نجاح مجلس اداوة البنك السعودي البريطاني مؤخرا في زيادة رأسماله بنسبة 28% من 1,25 بليون ريال سعودي الى 1,6 بليون ريال، كما نجح البنك ايضا في تحقيق قفزة في ارباحه عام 1997 وصلت الى 414 مليون ريال وذلك خلال 9 اشهر فقط

■ مباحثات خادم الحرمين الشريفين وتوني بلير جسدت خصوصية العلاقات التاريخية والسياسية بين السعودية وبريطانيا
■ المملكة وبريطانيا حليفان لهما ثقلهما الدولي لتحقيق السلام والمصالح المشتركة
■ تصريحات بلير عكست تقدير بريطانيا للدور السعودي في حفظ الاستقرار وخدمة السلام الشامل

■ توقيت الزيارة يكمن في ترؤس بريطانيا للمجموعة الأوروبية والمراهنة على دور أوروبي لإنعاش المفاوضات
■ نتائج مباحثات بلير الإيجابية تناغمت مع رصيد كبير من التعاون في كافة المجالات
□ ١٠٨ شركات بريطانية تعمل في المملكة والصادرات السعودية لبريطانيا وصلت إلى ١,٦٨ مليار دولار
■ بريطانيا تحتل المركز الثاني في الاستثمارات الأجنبية بالسعودية